حتى يرد نفسه في الملبس على طريق السلف رضي الله عنهم فكان احدهم مدة عمره لا يطوى له
ثوب ولا يرفع له قدر ولا يملك غير ثوبه الذي عليه روي ان عليا قال لعمر رضي الله عنهما
ان اردت ان تلحق صاحبيك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر املك وكل دون
الشبع والا فلا ترجو لحوقهما نعوذ بالله من ذلك فكان اجتهادهم ان يخرجوا من الدنيا
في ثوب مستعار فمهما كان الامر كذلك فعلى طالب الآخرة ان يقتصر على قدر المهم ولا بد
للانسان منه ولكن له طول وعرض اما طوله فبالاضافة الى حمله العمر فلا يقصر الا بقصر الامل
واما عرضه فبالاضافة الى المقدار واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة
وما جاوز هذا فهو مجاوز حد الفقر والزهد والتوكل والشرط في ذلك كله ان لا يجد
ثوبا ثانيا اذا اغتسل ثوبه ويلزمه القعود في بيته فمتى صار صاحب قميصين و
سروالين ومنديلين فقد خرج من جميع المذكورات واصل ذلك كله وسببه ان يرد
الهم الى هم واحد فالقوم اشتغلوا عن نفوسهم باصلاح قلوبهم قدم بشر الحافي رضي الله
عنه من عبادان مؤتزرا الحصير وعرى اويس رضي الله عنه حتى جلس في قوصرة وكان
ياتي المزابل فيلتقط الخرق فيغسلها في الفرات ويلفقها ويرقعها ليستر عورته ويفر
من الناس ولا يجالس احدا واذا جاع ايضا ياتي المزابل ويلتقط النوى منه فيبيعه
فيبيعه لما يفطر عليه فان اصاب حشفة ادخرها لافطاره فنبح عليه يوما الكلب فقال يا كلب
لا تؤذ من لا يؤذيك اي كل مما يليني وكل مما يليك فان دخلت الجنة فانا خير منك وان
فانت خير مني فانظر الى نظره ولذلك قيل اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه
جميل وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل هذا من حيث القدر واما
من حيث الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ
ولكن ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنس الصوف الذم وقال لا يلبس الشعر من
امتي الا مراء او احمق وكانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك لان الرياء على الغالب والاكثر لان اكثر
الناس يلبسه بحانة فيفسده بذلك وطبعهم في المحال قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه وقوم
ادعوا الفقر والزهد واظهروا ذلك في لباسهم يموهون بذلك على الناس فيهدى اليهم
الهدايا والصدقات والنذور الكثيرة ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر الى غيرهم فيهنا ذوا
بها ويعطوا الا يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم والسلف والائمة على السنة
فيتعللون بعلل غيرهم من السلف والاولياء الذين مضوا فدعواهم وظاهرهم يشبههم

و

ومعناهم وباطنهم يخالفهم ويكذبهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضائق وكل
هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاقهم وتزكية نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتها فغلبتهم ثم مع ذلك رزقوا تلك الصفات ايضا على الناس وموهوها
وادعوها حالا اما يأكلون الى الدنيا متبعون الهوى وزين لهم الشيطان اعمالهم ويحسبون
انهم مهتدون هذا آخر كلام الخواص ولا نعجب منه هذا القول لان الواجب على اهل الله الصادقين قيه
ستر الاحوال ولذا كان بيسمي رضي الله عنه بلص الحمام لانه اشتهر في بلده بالكمال فتلصص
في الحمام من ثياب الناس واظهر بصفة ليأخذوه منه فامسكوه وضربوه وسموه
لص الحمام فكان الناس ينادون خلفه يا لص الحمام وهو يفرح ويقول لهذا طاب
المقام فانظر الى مسافة الطائفتين والله المستعان على هذه المصيبة ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولذا قال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة
لدفع المطر والبرد وفي الحضر بدعة دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه
جبة صوف فقال قتيبة ما دعاك الى لبسه فسكت وما اجاب ابن واسع على قتيبة
ابن مسلم فقال لم لا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي
قال بعض السلف من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فيشار اليك البس ما
كان الحسن رضي الله عنه يلبس لبس العوام ويتزيا بزيهم فدخل عليه فرقد السبخي وعليه كساء
غليظ فقال الحسن لا تنظروا الى هذا الحمار الناهق ثم قال له يا فرقد الحسب لك فضلا على
الناس بكسائك هذا فان ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار وقد بلغني ان
اكثر اهل النار اصحاب الاكسية قال بعضهم ايها المرائي باللباس • اتساوي بين
الحق والباطل بالالتباس • اتظن ان التكحل كالكحل في القياس • او تعتقد ان من اسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان كمن بنى بلا اساس • فتبا لقوم قلبهم النفوس عن المحسوس
الى الراي المعكوس • فمضوا في زي القوم وفرحهم بحلق الرؤس • وترقيع الملبوس • واقتصروا
في الزهادة • على تخشين الوساده • وفي العباده • على حمل السجاده • اقروا بالتوبة • ثم
اصروا على الحوبة • واعتمدوا على العكازة • ليقال فاذا ذكروا لينكروا • ووصلوا ليوصلوا •
فقطعهم للطمع • لا للورع • وتخشعهم للرياسة • لا للسياسة • ان لو قسوا او لوا • وان رققوا
قلوا • وان صحبوا ملوا • وان منعوا شتموا • وان اعطوا كتموا • ان جادلوا بغير علم قالوا

Copyright © King Saud University